

## موسيقى

## شباب «المالوف» التونسي يحن إلى زمن الوصل



قبل شهر، أحييت أمسية في «معهد العالم العربي» في باريس، فيما تحل قريباً على مهرجانات الصيف، الفرقة التي أطلقها أحمد رضا عباس، قدمت في ظهورها الرسمي الأول نماذج من «نوبات» المالوف وبعض الأعمال الشهيرة لنجمة الغناء صليحة وسط تفاعل الحضور مع هذه المدونة التقليدية التي تتناقلها الأجيال

فرقة «مالوف»  
تونس، بعدسة  
جاك فيكمنز

تونس - نور الدين بالطيب

تجمع فرقة «مالوف تونس» التي تقيم في باريس تونسيين مفتونين بالموسيقى التقليدية الأندلسية المعروفة في منطقة شمال أفريقيا بـ«المالوف». كان أول ظهور رسمي لها في «معهد العالم العربي» في باريس قبل أكثر من شهر، وستكون حاضرة في المهرجانات التونسية للمرة الأولى في الصيف المقبل. في «معهد العالم العربي»، قدمت الفرقة عرضاً تابعه جمهور كبير من التونسيين والعرب والفرنسيين الذين اكتشفوا الموسيقى التقليدية الأندلسية التي حملها العرب الذين فروا من إسبانيا قبل ثمانية قرون ولجأوا إلى شمال أفريقيا هرباً من

التصفية العرقية.

هذا اللون الموسيقي الذي انتشر مع هجرة المسلمين القسرية إلى تونس والجزائر والمغرب وليبيا، يمثل هوية الموسيقى التونسية. اعتنى به ملوك تونس قبل استقلال البلاد، وقد اهتم به الزعيم الحبيب بورقيبة، فأطلق مهرجاناً دولياً لموسيقى المالوف في تستور (شمال تونس) التي تعد من المدن الأندلسية. سريعاً، تحولت تستور إلى قبلة لاكتشاف موسيقى الحنين الأندلسي. تحفل المدونة الموسيقية للمالوف بقصائد الحنين إلى القصور، والأنهار، وجمال الصبايا في الأندلس. أما المقدمات الموسيقية التي تسمى «نوبات»، فتشبه بساطاً من الحلم يحمل عبر جناحية العشاق إلى البلاد البعيدة التي طردوا منها. ميزة المالوف أنه لا يكتب في «نوتة» موسيقية بل يحفظ حفظاً وتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل. لذلك يُسمّى حفلة

موسيقى المالوف بـ«الشيخوخ».

هذه الفرقة التي سماها مؤسسوها «مالوف تونس» ولدت قبل ثلاث سنوات في ضاحية كريتاي (جنوب شرقي باريس) التي يوجد فيها عدد كبير من المهاجرين التونسيين والمغاربة. وكانت المبادرة من أحمد رضا عباس الذي جاء إلى باريس في أواخر السبعينيات للدراسة لكنه فضل الاستقرار في عاصمة الأنوار وفق ما يقول لنا. هناك، أسس مع مجموعة من الطلبة اليساريين فرقة

تابعة للاتحاد العام لطلبة تونس، الذي شكل طيلة سنوات العامود الفكري للمعارضة الطلابية لنظام الحبيب بورقيبة. بعد سنوات، ابتعد عن الموسيقى ليعود منذ ثلاث سنوات مع مجموعة من أصدقائه، كانوا يلتقون في بيته ليستحضروا بعض «نوبات» المالوف. تدريجاً، تطورت الفكرة وقرروا تأسيس جمعية أصبحت تقدم دروساً للأطفال والشبان من أجل المحافظة على التراث التونسي. واليوم، يعمل هؤلاء على بعث معهد للموسيقى التونسية. الفرقة التي تضم ثلاثين عضواً قدمت على مدى أكثر من ساعتين عرضاً ممتعاً زادته الملابس التونسية التقليدية بهاءً. ولعل التونسيين الذين صفقوا طويلاً للعرض، استعادوا وجه بلادهم الجميل الذي شوهته مظاهر «الأفغنة» التي غزت الشارع منذ ثلاث سنوات.

قدمت الفرقة نماذج من «نوبات» المالوف مثل «نوبة الذيل» وبعض الأغاني الشهيرة لنجمة الغناء صليحة (1914، 1928). أغنيات كان التونسيون يرددونها في أفراسهم مثل «أودعوني» و«بالله يا مشموم الفل»، و«يا اللي بعدك حير فكري»، و«أليف يا سلطاني»، و«أه يا خليلية»، و«كيف دار كاس الحب بيني وبينك»، و«ما سبي عقلي» وغيرها من المدونة التقليدية التي تتناقلها الأجيال. رد الجمهور مع الفرقة بعض المقاطع التي تذكر التونسيين ببلادهم التي تواجه اليوم مرحلة صعبة نتيجة تدفق المال والسلاح من بعض الجمعيات الوهابية في قطر والسعودية وليبيا والكويت لتدمير الروح التونسية العاشقة لموسيقى المالوف عشايا الصيف في ضاحية سيدي بوسعيد... تلك هي الصورة التي كانت متداولة عن تونس قبل «الربيع العربي».

تحفك بقصائد الحنين  
إلى القصور، والأنهار،  
وجمال الصبايا

## تسميات عدة لأصل واحد

وفقاً لموقع «الأغنيات التونسية»، تختلف تسمية فن «المالوف» من منطقة إلى أخرى. يطلق عليه اسم «الألة» في المغرب، و«الغرناطي» في وجدة وسلا وتلمسان ومناطق غرب الجزائر، و«الصنعة» في العاصمة الجزائرية، و«المالوف» في قسنطينة وتونس وليبيا. هذه التسميات المختلفة تعود في الأصل إلى الموسيقى التي نشأت في الأندلس، وارتبطت أحياناً بالمدائح الصوفية. لكن هذا اللون الغنائي والموسيقى، الذي يمتلك خصوصية الأدبية الخاصة وأوزانه الإيقاعية ومقاماته، لم يصل إلى مصر أو إلى بلاد الشام، بل بقي في بلدان المغرب العربي.

## ميوزك هول

## ماجيك مالك... ساحر الفلوت



ساندي الراسي

بعدما كان أول ضيوف «البيان جاز» عام 2005، يعود عازف ماجيك مالك لتقديم حفلة في «ميوزك هول» الليلة، مع رفاقه دي دجاي أويل، وجيلبير نونو، وهوبير موتو الذين عمل معهم على ألوم Tranz Denied. مع ماجيك مالك (اسمه الحقيقي مالك ميزادري)، تأخذ آلة الفلوت بعداً آخر. تلك الآلة التي كلما نراها في مجموعات جازية تتحول في يد «مالك الساحر» أداة للمفاجآت. الفنان الفرنسي المولود في أبيدجان في ساحل العاج، لا يخاف المغامرة، بل يذهب إلى حيث لن يصطحبنا عازف فلوت تقليدي. في موسيقاه، يبدي ميلاً إلى استكشاف إيقاعات جديدة. إنها موسيقى مبنية على جذوره الأفريقية، لكنها تسافر في الوقت عينه إلى أنحاء العالم. الإيقاعات والمغامرة ليست وحدها ما يميز فن مالك. تقنياته في العزف خاصة، فهو يلجأ في المقطوعات التي يؤديها إلى نوع من الصراخ أو

التمتمة عبر آلة الفلوت. الفنان الذي ترعرع في الـ «غوادولوب»، غادر جزيرته في الـ 17 من عمره ليلتحق بمعهد الموسيقى في مرسيليا، ويتخرج مجازاً في العزف على الفلوت. بعد قضائه 10 سنوات عازفاً في فرقة الريغي «هيومان سيربيت»، أسس عام 1992 أوركسترا «ماجيك مالك» التي تفككت ثم عادت لتجتمع عام 2000. حفلته ضمن «البيان جاز» تحمل عنوان Tranz Denied. إنه أيضاً اسم الألبوم الذي أصدره في أيلول (سبتمبر) الماضي. في هذا العمل، يثبت توجهه أكثر نحو الإلكتروني والبوب ومنهما إلى الجاز. كان الألبوم بمثابة تجدد في مسيرة الفنان، إذ تحلّى عن تركيزه السابق على الفلوت في المجموعات الجازية، وفصل الغوص أكثر في عالم التأليف الإلكتروني واستكشاف أصوات جديدة. لدى صدره، أحدث الألبوم نوعاً من المفاجأة، إذ أنجز في غضون أربعة أيام في الاستديو، لذا يتمتع بنوع من العفوية. انطلاقاً من حفلة مرتجلة قدمها ضمن مهرجان «موسيقى جاز ومن العالم» في

مدينة أميان الفرنسية (2011)، سُجّل هذا العمل لاحقاً. وهو يعتمد على باص إيقاعي محدد يؤديه دي دجاي أويل، ويعزف مالك بناءً عليه الفلوت والكيبورد والغيتر ويغني. منذ التسعينيات، حاول ماجيك مالك أن يأتي بلغة موسيقية خاصة به، توصل إلى تحديدها في الألفية الجديدة وأطلق عليها اسم XP وتخلّى لاحقاً عن النمط الذي عُرف به في ألبوماته السابقة من أجل الانتقال إلى مشروع لطالما جذبته، وهي الموسيقى الإلكترونية. أحاط نفسه بموسيقيين بارعين مثل دي دجاي أويل وجيلبير نونو، وهوبير موتو وهم سيرافقونه في حفلة الـ «ميوزك هول». موسيقى مالك أشبه برحلة يصطحبنا فيها من خلال مقطوعات مثل Shibuya Memories مثلاً إلى اليابان، كما إلى أماكن أخرى في أوروبا وأفريقيا مع Chunky Delice وMontreuil Market... للاستعلام: 01/999666

حفلة ماجيك مالك: 21:00 مساءً اليوم - «ميوزك هول» (ستاركو - بيروت).